الحرب تحاصر الفن.. أعمال العرب محجوبة عن العالم

بقلم المحرر: د. عبد الرحمن بدوي
الثلاثاء 14 مارس 2023 | 14:00 (بتوقيت القدس)

يتناول المقال تأثير حرب روسيا-أوكرانيا، وحرب غزة، على حال الأدب والفن والمسرح في الشرق، وانعكاس ذلك على الحياة الثقافية العامة، وعلى مفهوم الحرية الأكاديمية.

في عام 2023، أصدرت الأكاديمية الدولية للمسرح والفنون الأدائية تقريرها السنوي الذي يرصد حالة الحرية الأكاديمية في المسرح والفنون الأدائية في 37 دولة حول العالم. وكان التقرير، الذي أعده الباحث د. أنطوان سعيد، صادماً في لغته الهادئة. فالحرب، سواء كانت في أوكرانيا أو في غزة، لا تكتفي بتدمير المسارح والمتاحف، بل تعيد تشكيل ما يُسمح بقوله وما يُحجب عن الجمهور. وفي هذا المقال، نتتبع أثر هذه الحرب على ثلاثة مسارح عربية وأوروبية، ونسأل: ماذا يحدث للفن حين يُطلب منه أن يصمت؟

دمشكس تلغي بولين

في 12 فبراير 2023، ألغت مسرحية «دمشكس» للمخرج أحمد الأيوبي عرضها الأول في دار الأوبرا بدمشق بعد ساعة واحدة من الموعد المحدد. وكان العرض يتناول قصة امرأة تبحث عن ابنها المفقود في سجون النظام، وكان من المقرر أن يشارك فيه 14 ممثلاً و3 راقصات. وبحسب شهادة الممثلة لينا حوراني، التي كانت تؤدي دور الأم، فإن الإلغاء جاء «بطلب شفهي من الأمن، دون أي مبرر مكتوب». وأضافت: «كنا نعلم أن النص حساس، لكننا لم نكتب شيئاً ضد أحد. كل ما فعلناه أننا سألنا أمهات عن أبنائهن». وقدّر مراقبون أن الخسائر المالية للمسرح بلغت 180 ألف ليرة سورية، وأن 60 عاملاً فقدوا أيام عمل كاملة.

تحليل الأيوبي

يقدّم الباحث د. عمار الشريعي تحليلاً لافتاً لأسلوب الأيوبي في هذا العرض، يقول إن المخرج استخدم «مسرحاً داخل المسرح» عبر شاشة عرض تُظهر صور المفقودين، وإن هذا الأسلوب كان يُفترض أن يحمي العرض من الرقابة لأنه يُحوّل النص إلى وثيقة. غير أن الرقابة تجاوزت هذا الحل لأن الشاشة نفسها كانت تُعرض قبل العرض بأسبوع في مهرجان دمشق للمسرح التجريبي، وحصلت على جائزة لجنة التحكيم. وهكذا، يصبح السؤال: هل يُسمح بالفن حين يُعرض، ولا يُسمح به حين يُحجب؟

صورة من العرض الملغي، وتظهر الشاشة التي كانت تُعرض عليها صور المفقودين

من جهة أخرى، فإن هذه الحادثة تُعيد طرح سؤال قديم: هل يُمكن للفن أن يكون مستقلاً عن السلطة؟ يرى د. سعيد أن الإجابة ليست بسيطة، لأن الممثل يعتمد على تصريح أمني لإقامة العرض، وأن المخرج يحتاج إلى موافقة لاستيراد الإضاءة والأزياء. لكن في الوقت نفسه، فإن الصمت الكامل يُعطي السلطة شيكاً على بياض. والسؤال: كم من عرض لم يُقدّم لأن أحداً لم يجرؤ على الطلب؟

فخاخ قد تُهلك